أشكال الإغتراب وتجلياته في المجموعتين القصصيتين "آخر تحليقة لنورس مهاجر" و"رقص سماح على أنغام زرياب" لمحمد عبد الرحمان يونس"

Forms of alienation and their manifestation in the two story collections "The Last Flight of Nawras Muhajir" and "Sama's Dance on the Melodies of Ziryab" by Muhammad Abd al-Rahman Younis

الدراجي عباسي[1]*، خديجة زين[2]

[1] جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)، darradji.abassi@ummto.dz

[2] جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي (الجزائر)، zine-khadidja@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2022-06-02 تاريخ القبول: 2022-07-03 تاريخ النشر:2022-12-27

ملخص البحث

يعد الإغتراب ظاهره برزت في مختلف المجالات :الفلسفية والنفسية والاجتماعية والسياسية والأدبية باعتبار أن الإنسان يعاني عده أزمات ولدت لديه الشعور بالإغتراب الذاتي النفسي والاجتماعي والسياسي فهو يعيش في عالم لا إنساني, عالم يأبى الإعتراف بالآخر, ويرفض مجرد انتمائه إليه, ويعد الإغتراب من أبرز الظواهر في الأدب العربي وخاصه في النص الروائي والقصصي الحديث نتيجة الواقع المأزوم سياسيا واجتماعيا وثقافيا وأخلاقيا, فعكس هذا تجربه إبداعيه لدى المبدعين, تلونت بالقلق والحيرة والشك في الواقع, وتعد المجموعتين القصصيتين –آخر تحليقه لنورس مهاجر ورقص سماح على أنغام زرياب –لمحمد عبد الرحمان يونس أنموذجا للرفض والاغتراب, إذ يحضر الإغتراب الذاتي فيتحول إلى نفسي واجتماعي وثقافي, ومنه نطرح السؤال: كيف تجلت أشكال الإغتراب في المجموعتين القصصيتين ؟وهل استطاعت هاتين المجموعتين تجسيد مظاهر الإغتراب؟.

كلمات مفتاحية: الإغتراب؛ الوحدة؛ العزلة؛ الوطن؛ الذات.

Abstract:

Alienation is a phenomenon that has emerged in various fields: philosophical, psychological, social, political and literary, considering that man

* **المؤلف المرسل: د/ الدراجي عباسي**

suffers from several crises that have generated a feeling of psychological, social and political self-alienation. Especially in the modern fictional and short story text as a result of the political, social, cultural and moral crisis. This reflected a creative experience of the creators, which was colored by anxiety, bewilderment and doubt in reality, and the two story collections - Nawras Migrant's Last Flight and Samah's Dance to the Tunes of Ziryab - by Muhammad Abd al-Rahman Younis are a model for rejection and alienation. As self-alienation attends, it turns into psychological, social and cultural, and from it we ask the question: How were the forms of alienation manifested in the two story groups? Were these two groups able to embody the manifestations of alienation?.
Keywords: alienation; loneliness; isolation; homeland; self.

مقدمة:

إن ظاهرة (الإغتراب) تُعدّ موضوعًا يقع في دائرة إهتمام تخصصات عديدة مثل: الفلسفة، علم الاجتماع وعلم النفس...الخ، فالإغتراب هو ظاهرة إنسانية يُمكن تتبعها بشكل أو بآخر في مختلف النُظم والثقافات والمجتمعات، حيثُ نجد الأفراد يشعرون بتفرّدهم وتميّز شخصياتهم، وقد عبّر العديد من الأدباء عن واقعهم المعيش، لأنهم عاشوا ظروفا صعبة دفعتهم إلى الكتابة وتصوير الواقع الموازي للمجتمع العربي وهذا ما وجدناه في المجموعتين القصصيتين للدكتور القاص محمد عبد الرحمان يونس التي تعتمد في نسيج عالمها على الواقع والخيال, كما تعتمد تكامل جزئيات المضمون بلغة فيها الكثير من الرشاقة بعيدة عن التعقيد, ولهذا فإننا أمام مجموعتين متميزتين, من حيث تماهي مضمونهما بشكلهما, وكذلك فإن القصص الواردة فيهما لا تلغي غرابتهما وجمالهما, لأن القاص يحاول تقديم شرائح ونماذج حية لحياة بعض الناس ليصور من خلالهم وبمساعدتهم القيم والأخلاق والتناقضات, فيصور حياة شخوص لم تجد في بيوت وشوارع وفنادق مدنها حياة الألفة التي يشدهم الوطن لها, فكانوا نغما شاهدا على تطور الحياة الاستهلاكية[1] والمادية مقابل ضياع القيم والأخلاق داخل مجتمعات عمها الفساد فانتشرت الرذيلة وتدهورت الأحوال وساءت العلاقات, فبرز عنصر الإغتراب في أغلب القصص فكان العنصر الأساسي الذي يربط موضوعات القصص فجاءت القصص عبارة عن لوحات فنية منمقة تحكي الاغتراب عن الصحبة والأطلال والفراق والدموع والوحدة والبكاء, والكآبة والتشرد والغربة والآلام, وقد يكون ذلك ترميز الفرد, بينما يقصد به الجميع ومن خلال هذه الدراسة سنحاول كشف أشكال الإغتراب الذي حوته المجموعتين.

1- الإغتراب قراءة في المفاهيم:

شغل موضوع الإغتراب الجانب الأكبر من إهتمامات الأدباء والمفكرين والفلاسفة والأنثروبولوجيين والفنانين، إذ نجده قد زاحم المصطلحات في كتب النقد والأدب، وعلم النفس والتحليل الاجتماعي واللاهوت، وظهر موضوعا أساسيا في كثير من الأعمال، فهو ظاهرة إنسانية وجدت نفسها في مختلف الأنماط الاجتماعية، وفي أغلب الثقافات التي بناها الإنسان، وقد تعددت معاني الاغتراب بمرور الزمن إذ لابد لكل مصطلح من أن ينشأ بسيطا بدلالته، إلا أنه يأخذ ماديات أوسع بتطور الزمن، ثم يتحدد وتتعدد معانيه.

جاء في (لسان العرب) لابن منظور أن التغريب: "هو النفي عن البلد، وغرب: أي بعد، ويقال: أغرب عني، أي تباعد، والغربة والغرب: النزوح عن الوطن"[2]. كما ورد الإغتراب في (معجم مقاييس) اللغة: "الغربة": "البعد عن الوطن، يقال: غربت الدار، ومن هذا الباب غروب الشمس كأنه بعدها عن وجه الأرض"[3].

مما سبق نستطيع القول أن مصطلح الإغتراب في المفهوم اللغوي لم يخرج عن دائرة البعد والنزوح عن الوطن.

وردت لفظة الإغتراب في المعنى الاصطلاحي بدلالات مغايرة ومختلفة باختلاف الفلاسفة في آرائهم وتوجيهاتهم فنجد (خيري حافظ) يعرف الاغتراب بأنه "وعي الفرد بالصراع القائم بين ذاته وبين البيئة المحيطة به بصورة تتجسد في الشعور بعدم الانتماء والسخط والقلق وما يصاحب ذلك من سلوك، أو الشعور بفقدان المعنى أو اللامبالاة[4]. نستطيع القول أن الإغتراب هو حالة نفسية شعورية تصاحب الفرد وما ينجم عنها من شعور بالقلق والسخط والصراع مع البيئة المحيطة به. ويعرف الإغتراب أيضا على أنه "انحلال الرابطة بين الفرد والمجتمع، أي العجز المادي عن احتلال المكان الذي ينبغي للمرء أن يحتله وشعوره بالتبعية أو بحسن الانتماء إلى شخص أو إلى آلية أخرى، فيصبح المرء مرهونا له لها بل مستلبا، وهذا ما يولد شعورا داخليا بفقدان الحرية والإحباط[5].

هذا وقد تناول الدرس الفلسفي قضية الاغتراب منذ القدم، ففلاسفة اليونان القدماء يشيرون بالإغتراب إلى حرمان الإنسان من حقه الطبيعي أو القانوني، أما أفلاطون "الذي اغترب عن أخلاقيات عصره ومجتمعه ودعا إلى إقامة جمهورية فاضلة يحكمها الفلاسفة حتى يتحقق العدل –

فكان يقصد بالإغتراب ابتعاد الإنسان عن عالم المثل، وعيشه في عالم أرضي طارئ بدون إرادته"[6], من خلال هذا القول نستشف بأن مفهوم الإغتراب عند اليونان القدماء كان يعني أن يسلب الإنسان من حقه الطبيعي، أما بالنسبة لأفلاطون فنظر إلى أن الفلاسفة هم القادة الذين يوجهون المجتمع، وأن الإغتراب هو الإبتعاد عن العالم المثالي عالم الحقيقة المطلقة.

أما الإغتراب في الفكر الفلسفي الحديث، فيتفق الباحثون على أن"هيقل" Hegel كان أول فيلسوف وظف مصطلح الإغتراب توظيفا فلسفيا متميزا، وارتقى بالموضوع إلى مرحلة النضج الفلسفي الحقيقي، لهذا صار الإغتراب عند "هيقل" يعني أن يغرب الإنسان نفسه عن طبيعته الجوهرية ليصل إلى حد التطرف في التنافر مع ذاته وقهرها، بمعنى آخر أن يضيّع الإنسان شخصيته الأولى[7]. كما أشار"هيقل"(Hegel) إلى "العلاقة الحقيقية بين الفرد والدولة التي لم تعد تُرضي قدراته، بل توجد بوصفها نظاما مغتربا، اختفى منه الاهتمام السياسي الإيجابي للمواطنين[8]. يتحدد مفهوم الإغتراب عند "هيقل"(Hegel) من خلال قهر الذات والانفصال عنها، فيصنع من نفسه شخصا آخر، كما ربط بين الفرد والدولة باعتبار هذه الأخيرة نظام مغترب عنه يحس الفرد فيه بفقدان دوره الإيجابي.

لقد ربط "فرباش"(Feuerbach) الإغتراب بالدين، فيصبح الإنسان خاضعا له، أي خاضعا لمخلوقاته التي تسيطر عليه وتتحكم فيه. أما بالنسبة ل:"ماركس"(Marx) فإن فكرة الاغتراب" عنده تتضمن محتوى مغاير تماما لذلك الذي رأيناه عند كل من "هيجل" (Hegel) "فرباش"(Feuerbach)، فقد لخصها لنا في الطبيعة العلاقة بين نشاط الإنسان والمؤسسات والأشياء التي هي نتاج إيداعه الخاص، لكنها تتخذ لها في النهاية شكلا مستقلا، تصبح تمثل بمقتضاه قوى غريبة تواجهه وتعاديه[9]. كما يرى" فرويد"(Freud)أن الإغتراب يحدث للفرد نتيجة عدم سماح الحضارة له بإشباع غرائزه دون تأجيل، إضافة إلى دور اللاشعور في جعل الفرد يغترب من مجتمعه نتيجة لعدم قدرة الفرد على مواجهة متطلبات المجتمع مما يدفعه إلى سلوكيات تحافظ عليه للعيش داخل مجتمعه، وهو مقتنع بأن متطلبات البناء الاجتماعي تناقض جوهر الذات، الذي يزداد خطورة نتيجة لوطأة الوجود الطبقي المسيطر"[10]. إن سبب الإغتراب عند "فرويد"(Freud)هو عدم قدرة الفرد على التأقلم مع المجتمع لأنه غير قادر على مواجهة متطلباته

إضافة إلى دور اللاشعور في ذلك. وعليه بلور (فرويد) تصوره للاغتراب باعتباره سمة متأصلة في وجود الذات وحياة الإنسان ولا يتم علاجها إلا بإطلاق الغرائز المكبوتة"[11]. مما تقدم نستطيع القول أن"فرويد" (freud) جعل من الإغتراب خاصية وميزة موجودة في الذات الإنسانية ولا يستطيع التخلص منها إلا بتحرير غرائزه. أما بالنسبة للفلسفة الوجودية فإن الإغتراب عندها مرتبط بالوجود الذي هو أسبق من الماهية، فهو يمثل الركن الأساسي في بناء هذه الفلسفة، إن الوجود أولا هو وجودي أنا، أنا الذات المنفردة"[12]. كما ترى هذه الفلسفة "أن الإغتراب داخل في صميم الوجود الإنساني، داخل في نسيج الإنسان، نحن مدانون بالاغتراب ومهما حاول الإنسان من خلال الحرية، ومن خلال إحساسه بالزمان، ومن خلال علاقاته الاجتماعية ومن خلال العمل، أن يتجاوز أو أن يشفي من الإغتراب، فإنه سيموت مغتربا، لأن الحياة نفسها اغتراب"[13].

من خلال ما تقدم يتضح لنا أن هذه الفلسفة تقر بأن الإغتراب ظاهرة لصيقة بالوجود الإنساني وملازمة له وأينما وجد الانسان وجد الإغتراب فلا يمكن لهذا الأخير أن يتخلص منه أو يبتعد عنه.

2- أشكال الإغتراب في المجموعتين القصصيتين "آخر تحليقه لنورس مهاجر "و"رقص سماح على أنغام زرياب" "لمحمد عبد الرحمان يونس"

أ-الإغتراب الاجتماعي:

يتمثل في شعور الفرد بعدم التفاعل بين ذاته وذوات الآخرين, والبرود الاجتماعي, أي ضعف العلاقات مع الآخرين وقلة أو ضعف الإحساس بالمردة والألفة الاجتماعية معهم, "فالإغتراب عن المجتمع هومغايرة معاييره, والشعور بالعزلة والهامشية الاجتماعية, والمعارضة والرفض والعجز عن ممارسة السلوك الاجتماعي العادي"[14]. أي بمعنى آخر انطواء الذات على نفسها وخروجها عن المجتمع ومعاييره الاجتماعية أي الانفصال الكلي عن القيم التي تحكمه.

ويتجلى الإغتراب الاجتماعي من خلال المجموعة القصصية في قول السارد "نقدم خطوة, أخذت تتراجع خطوات.. راقب الجامعة من بعيد.. انتابه شعور حاد.. لا قيمة للجامعة ولا لشهاداتها طالما أن البطالة هي الأصل, ندخل إلى الجامعة قطيع لعن في سره ساعة ميلاده"[15]. نلاحظ من خلال هذا المقطع أن السارد يشعر بالعزلة الاجتماعية فهو كطالب جامعي يرفض الجامعة التي لم تعد تمثل سوى محطة لعرض الأزياء الغربية, فهي لم تعد تقوم بدورها العلمي كما في السابق ويقول أيضا:"

لماذا تكرهه ملكية؟ أي حقد أعمى هذا الذي تحمله سرا وعلنا إلا أنه منعزل... إلا أنه فقير؟.. كادت تقتله مرتين بسيارتها... الفورد – وثالثة صرخت في وجهه ألا تعرف المشي؟"[16]. نلاحظ هنا مدى التفكك الاجتماعي بين طبقات المجتمع, فأصبح ذلك الفرد الفقير أو الذي يتمسك بقيمه الاجتماعية من أغلب فئات المجتمع الذي نادى إلى التحرر والتخلي عن كل القيم التي تربطه بالمجتمع الأصلي.

وفي موضع آخر يقول السارد "بدأت المحاضرة .. علجية ألا تنتهي؟ .. همس "سي الطاهر" لصديقه جابر "وحق الله" علجية هذه لا تصلح إلا "أرتيست" في كبريه "الخيام, .. قال جابر: ها هو الأستاذ بدأ وها هي علجية لم تنتهي من سرد مغامراتها الجنسية مع "سيمون" القذر هذا الفرنسي الذي أذل أجداده وآباؤه البلاد والأهل والديار. التفت إليه علجية: يا شكاك .. أكنت أفضل مني؟ .. دائما أنتم العرب عقولكم في أنصافكم السفلى .. حمدا لله أني لست منكم"[17]. الاختلاف والشعور بالانعزال يظهر جليا للسارد مع المجتمع الذي تغيرت قيمه ومبادؤه التي أصبحت تقليدا للمجتمع الغربي الفرنسي متناسيا الحروب والآلام والمعاناة والحرمان الذي سببه له هذا المستعمر فتخيم ذاكرته ويسترجع أحداثا جرت في الماضي أيام الاستعمار الفرنسي, الذي كان حقبه مهمة من تاريخ الجزائر, فلا يمكن لأي أحد عاش في ذلك الوقت أن ينسى ما حصل من معاناة لأبناء هذا الوطن من قتل وتعذيب وتهميش ولا يمكن لهم أن ينسوا ما فعل الاستعمار بأهلهم وذويهم فيقول "سي الطاهر" لعلجية" قال سي الطاهر: أبوك ولد البلاد, وقد حارب الفرنسيين ومات شهيدا... رحمة أبي عليه, قالت علجية لكن أمي فرنسية.

قال جابر: وحق "سيدي عبد الرحمان المجدوب" لست من صلبة فهناك يبدو جليا الاغتراب الاجتماعية بين أفراد المجتمع حيث اضطرهم الأمر إلى التخلي عن الانتماء العرقي وكره كل ما هو عربي والتمسك بالقيم الاجتماعية الفرنسية فتقول صديقتها سعدية تفو... يا العرب.. يا الخماج"[18]. ونجد الاغتراب الاجتماعي في هذا المقطع الذي يذكره السارد فيقول "تعبت الوجوه الأليفة كلها, يرشح قلبي بالأسيد والطران سيضيع وقتي عبثا في محاولة القبض على هذا الوجه,

وأحاول أن أبحث في إيجاده"[19]. إنه الشعور بالانعزال داخل المدينة الغريبة التي تغير فيها كل شيء حتى ملامح الوجوه لم يعد نفسها كما في السابق.

ويذكر السارد في المجموعة القصصية آخر تحليقة لنورس "ترحل النوارس والسنونوات, وكثير ما حلق, لكنها قلما تبوح بأسرارها فالسر والمنفى وطن للرحيل والمرافئ والمثابر, وقلما يبوح نورس بمنفاه"[20]. ويقول أيضا "بعد أن غابت الوالدة الصديقة شعر بغصة حادة, وأحس أن ما يحيط به يفقد لونه وطعمه, لم يعرف كيف يفكر أو ينام أو يأكل ... فالحزن الأسود زاده اليومي... بينه وبين معارفه القدامى الذين أصبحوا أكبر تجار المدينة وسماسرتها شرخ حاد يزداد يوميا, فيجعله منطويا متسربلا ومفجوعا بنفسه ومدينته"[21]. يظهر جليا في هذا المقطع الشعور بالحزن والكآبة لفقر البطل لأمه وصديقته وأخته بعد أن قتلوا ظلما من طرف الأفراد المتمردة من المجتمع, أما معارفه فأصبحوا سماسرة مما جعله ينعزل وحده تاركا المجتمع الذي أحب الرذيلة وابتعد عن الفضيلة لحاله.

ومنه نستخلص أن الإغتراب الاجتماعي هو البعد عن المجتمع والشعور بالعزلة والهامشية, وقد تجلى ذلك في المجهودات القصصية للقاص لمحمد عبد الرحمان يونس.

ب– الإغتراب النفسي:

يعرف الإغتراب النفسي بأنه" شعور الفرد بالعزلة, وعدم الانتماء وفقدان الثقة, ورفض القيم والمعايير الاجتماعية والمعاناة من الضغوط النفسية وتتعرض وحدة الشخصية للضعف والانهيار بتأثير العمليات الثقافية والاجتماعية التي تتم داخل المجتمع"[22]. وهو حالة نفسية تصيب الفرد فيشعر باليأس والضعف وفقدان الثقة بالذات والقطعية مع المجتمع. ومنه قول السارد " لم يعد قادر على أن يتألف والحزن.. كانت نخيله المسروقة وصحراؤه اللاحمة كافية لأن تفتح ثغرة واسعة في مفاصله.. ومع تقدمه في العمر كان يأمل أن يتبدد حزنه.. لكن شيئا لم يتغير... فانقبض قلبه وأحاطه الظلام.. والحياة أصبحت كابوسا.. والرغيف استمر هاربا"[23]. وهنا يتضح جليا إحساس الشخصية بالغربة وينعكس ذلك على نفسيته لتشعر بالحزن العميق والخوف الشديد داخل وطنه فتغير الحياة أصبح عنده كابوسا لأنه لم يستطع أن ينسجم معها, فنفور الشخصية من واقعها الراهن وهروبها من ذاتها لأن كل شيء فقد طعمه وأصبح بدون معنى وأصبح كل ما يحيط به يشعره بالخوف والقلق والظلام.

وفي موضع آخر يقول " النجمة: أيها الغريب.. ضع.. تشرد.. اغترب.. كفن نفسك ومت.. جع.. نم.. في العراء"[24]. إنها قمة العزلة النفسية ونهاية الوصول إلى أسوأ المشاعر السلبية التي تعيشها الشخصية البطلة وسط وطنها الذي أصبح يمثل لها مكان للحزن والتشرد والجوع إنه يمثل المنفى والسجن الحقيقة لها.

ويقول السارد أيضا "ضاقت بي وحدتي .. كثيرة هي حالات الوحدة والفراغ الذي يشعل الأمسيات ساعة تغيب الذكريات, ويلتف القلب صامتا حول أمانيه التي آلفت النزيف.. أحسست كابوسا ثقيلا يضغط على مفاصل صدري .. وحشة حجرية قائمة اقتلعت معربدة, وقد قتلني في أحياء المدينة القصديرية.. لم تكن الوحدة في الآلام السابقة قاسية إلى هذا الحد... سافرت وبقيت وحيدا .. لا أدري كم ستبقى فالسجين قلما يعلم مواعيد خروجه"[25].

ويقول أيضا "الشوارع قائمة تمتد من الخواء إلى بوبات المنفى.. أمشي.. اتسكع.. اتحسس الجدران.. بلاحقني صمت موحش أحاول أن أطرده, يرفض يلتصق بي, يتغلغل داخل مسامات جسدي أحدق في وجوه المارة نائما غريبا.. لا أحد وجها واحدا يعرفني"[26]. فالشعور بالوحدة القاسية والغربة الشديدة جعلت من البطل يعيش حالة من التموقع داخل نفسه, فلا أحد يعرفه في المدينة وهذه إشارة إلى درجة كبيرة من الانعزال النفسي, هذا ما جعله يفكر في السفر والهروب من هذا الواقع المظلم ومن هذه المدينة القائمة التي لم تعد تستوعب معنى الإنسانية إلى مدينة أخرى جميلة فيقول السارد أيضا" ماذا حل بالناس؟ بيد أن شيئا مس عقولهم .. ولذا فهم يريدون أن يتركوا الأرض والأهل .. تتابع المرأة الطوفان يا ولدي! ألم تسمع بالطوفان؟ يقولون أن طوفان سيأخذ المدينة عن بكرة أبيها .. مواشيها وزروعها وبيوتها أسرع وأحضر حقيبتك ... تقدمت إلى الميناء, وقفت على الرصيف أراقب السفن المبحرة باتجاه المجهول ... ألوح للمراكب المسافرة, لا أحد يلتفت إلى .. ينفذ صقيع إلى أعماقي .. أخيرا ها هو مركب يقف ... يصيح بي أحد البجارة .. أصعد بسرعة ... سألني أحد التجار إلى أين نسافر الأخ؟ لم أكن قادرا على معرفة جهة سفري لكني أجبت:

لا أعرف .. إلى حيث يسافر الناس...

ساد صمت ثقيل .. ثم سرعان ما قذفت بناء العاصفة إلى أعماق البحر"[27]. في هذا المقطع يصل الاغتراب النفسي الذروة فنفور الشخصية وهروبها من ذاتها ووطنها, ويتنامى إحساسها بالانفصال عن عالمها وواقعها وأصبح كل ما حولها يبدوغريبا, فكل ما يحيط بها يفقد القدرة على مواجهة الأشياء المحيطة بها, وقد وصل بها الأمر إلى جهلها حتى في اتخاذ قراراتها. ولقد ذاقت نفس البطل من مرارة الإغتراب النفسي والغربة فأصبح يشعر بالاختناق والوحشة فهو غير قادر على الانسجام مع الواقع لهذا فهو يتعارض مع واقعه وينبذه, فعزلته عن مجتمعه كانت قصرية, فقد كان مجبرا على ترك بلاده لأنها لم تستطع احتواءه حتى في أصعب الظروف

لقد توفرت المجموعتين القصصيتين على نماذج كثيرة للاغتراب النفسي الذي هو حالة تصيب الإنسان فيحس بالضياع والقلق والحزن والكآبة والانفصال والاضطراب, فألم ومعاناة الوحدة والفراق والابتعاد عن الوطن سبب في تشتت وتمزق الذات واغترابها.

ج– الاغتراب الثقافي:

ويشار به إلى ابتعاد الفرد عن الثقافة الخاصة بمجتمعه, وثقافة المجتمع تتألف من العادات والتقاليد والقيم السائدة في ذلك المجتمع ومخالفة المعايير التي تضبط سلوك أفراده, حتى تجد الفرد يرفض هذه العناصر وينفر منها ولا يلتزم بها بل يفضل كل ما هو غريب وأجنبي عنها[28] وفي المجموعة القصصية رقص سماح على أنغام زرياب البطل بصفته مثقفا إنتبذ واعتزل وأعفى ذاته عن بقية المجتمع وبقي في ذاته بفساد الواقع وتشبثه بحضارة مناقصة لحضارته لا ينال منها إلا القشور يقول السارد على لسان الأستاذ "قلنا في الحصة السابقة إن الغناء انتشر بصورة لم يسبق لها مثيل في ربوع الأندلس الخلابة, وبلغ أوجه ويمكننا القول إن العصر الأندلسي كان عصر اليوبيل الذهبي للأغنية المتأصلة شفافية ورقة في عالم الطرب ويعتقد أننا لا نعالي في ذلك... كان المغنى زرياب مبدعا في غنائه, ومجددا في ألحانه وقد قام بتأليف ألحان جديدة خصيصا لهارون الرشيد فغناها والجواري في بلاطه وأبدع أيما إبداع ... ألا ترون معي تأسيسا على ما تقدم أن الحضارة التي سادت الأندلس كانت حضارة راقية وعظيمة.

قالت علجية: إن الحضارة الفرنسية أفضل من حضارتكم هذه يا أستاذ إنها أرقى حضارات العالم, امتدت سعدية قائلة :كلا يا أستاذ إن الحضارة الأمريكية هي أم حضارات العالم"[29]. نلاحظ في المقطع السردي أن الاغتراب الثقافي في أوساط المجتمع وانفتاح على الحضارات الغربية بكل أشكاله,

وإزدراء لحضارة المجتمع ومحاولة التخلص منها في بعض الفئات الاجتماعية, مما جعل البطل يعيش حالة اغتراب ثقافي, فهو الذي يعشق الحضارة العربية ويتغنى بمجدها.

ومن نماذج الإغتراب الاجتماعي في المجتمع ظاهرة الخيانة الزوجية يقول السارد "في إحدى شقق المدينة الشرقية وفي الطابق الرابع سيدة طلقها زوجها .. كانت قد تعلمت أن تصطاد الغربان الطليقة التي ترفرف عاليا فوق اسطح البنايات .. صادقت غرابا كان يزورها .. ما ان علم زوجها بالأمر حتى نخرته رياح الغيرة .. اذهبي يا امرأة ... أنت طالق.

أنه سماء خافتة هذه التي تغطي سطوح البنايات؟

أه شوارع تغلق وتنفتح كمسامات الأجساد التي تتعرى في ساعات الليل الأخيرة؟ ماذا يمكن أن يقال ونحن ننتظر بوابات آملين أن تنفتح لأبوابه تفتح .. لا أفق يقترب .. فالشمس هي الأخرى باتت عارية في وهج الليل .. وهج يتسلق أعمدة الهاتف ويهتف للأعياد والحسوات والليلك"[30] دفعها الظلم المفروض على المرأة إلى انحرافها في المجتمع مما أباح جسدها لأي باحث عن الهوى وهذا يدل على اغترابها الحقيقي هو الذي دفعها إلى الرذيلة والفاحشة محاولة الهروب من واقعها ولكنها تزداد ظلمتها واغترابها أكثر وتغرق المدينة في العربدة وتسكن النساء الملاهي والحانات للبحث عن المتعة واللذة الهاربة العظيم يجد نفسه وحيدا وسط شخوص غيّرها الزمن.

وفي مقطع آخر ورد اغتراب ثقافي حيث يقول السارد "تمايل رأس ملكية .. وأخذت تغني أغنية أندلسية بصوت مبحوم قال "حمروش" بأسى: هذه جامعة أم "بوات دونوي قالت علجية: يا "طوبال" .. يا قرد .. يا حلوف .. ألا تخجل وتعود إلى حضيرتك؟ رد "طوبال" قد احمر وجهه: حلوفة .. بنت حلوفة .. أكيد أنك ولدت في ملاهي "ببغال". قالت مليكة: طظ فيكم وفي مدينتكم وفي شرفكم الفارغ هذا ... فتحت علجية حقيبتها .. وأخرجت مرآة مستديرة وعدلت من وضعية شعرها .. ورفعت رجلها ووضعتها فوق الأخرى وقالت لمليكة: خلاص .. لا جدوى من النقاش مع هؤلاء الحلاليف أين ستسهرين الليلة؟

– لا أدري .. لم أقرر بعد .. "جوسوي ليبر".

– إذن تأتين معي .. سي "الحوجال" دعاني للسهر في نادي "سيرو" .. وسيكون معه "سي عبد الله" ... وكيل سيارات (ما زادا) .. ألا تعريفته؟"[31].

يظهر جليا الإغتراب الثقافي بين أوساط الطلبة في الجامعة فلم تعد صورة المرأة كما في السابق, بل تحولت إلى فتاة ليالي همها الوحيد المادة, والسهر في الكزينوهات وإشباع الشهوة المسيطرة فقط, فأحدث هذا الاغتراب فجوة عميقة بين الشخوص فمنهم من ينظر إلى المرأة تلك المحافظة الماكثة في البيت ولا تعرف من الرجال إلا زوجها ووالدها, وبين من ترى أن من حق المرأة التحرر والخروج عن كل ما يكبت رغباتها.

د– الإغتراب الديني:

تكلمت كل الأديان عن الإغتراب الديني فيما معناه الانفصال والابتعاد عن الذات الإلاهية وفي الإسلام يأخذ الإغتراب المفهوم ذاته, حيث يعني به الابتعاد عنه وقد بين "فتح الله خليف" أن الاغتراب الديني في الإسلام جاء في ثلاث أشكال هي اغتراب المسلم بين الناس, واغتراب المؤمن بين المؤمنين, واغتراب العالم بين المؤمنين.

والإغتراب الديني هو ما يسميه العلماء بالحاجات الروحية, حيث أن هذه الحاجات "تدفع الإنسان عن البحث عن إله يعضمه ويقدسه ويرتبط به ويلجأ إليه, ويعمل ما يرضيه من العبادات"[32] لذلك نجد الإنسان في القبائل غير ذات العقائد السماوية أوجدت لنفسها قوى خفية غيبية تعتقد بقدرتها على الحماية والنصر والغفران والمعاقبة, ورمزت لها بأصنام وأشجار وأيام وأزمان وأقامت لها المعابد وقدمت لها القرابين. والحاجات الروحية هي مشكلة تلازم الإنسان في العصر الحديث نظرا للمتغيرات الكثيرة والسريعة في مختلف مجالات تواجد الإنسان حيث يشير "هنري برقسون" في هذا الشأن إلى أن "مشكلة العصر الحاضر المتمثلة في الصراع بين طغيان الألية وتضاؤل نصيب الروح قد ترتب عليها ذلك الفراغ بين الجسم والنفس وظهور العديد من المشكلات النفسية والاجتماعية والسياسية والدولية"[33]

لقد اشتملت المجموعة القصصية" آخر تحليقة لنورس مهاجر" على العديد من المقاطع السردية منها "وأمام كل شركة كان يقف زمنا يتأمل اللافتات والموظفين الذين يجلسون وراء مكاتب

وثيرة, وقد أخذوا يقهقهون ويرشفون فناجين الشاي ويتحدثون عن غباء زوجاتهم .. وآخر مغامراتهم مع عشيقاتهم..

وعندما كانت تزوغ عيناه .. كان يدخل مطاعم الحلازين..

ويأكل وجبته اليتيمة ذات الثلاثة دراهم, ويدخل جامع "عبد الرحمان المجدوب" .. ويدعو الله أن يمنحه جزيرة ونجمة وجازية, لكي يكمل النصف الآخر من دينه .. بعدها سيجمع فقراء المدينة .. وسيوزع عليهم بلغة حمدان القرمطي وزكريا الدنداني عدلا مطلقا .. ويشيد مملكة الإخوان ولا قتل ولا جواسيس فيها, ولا نفط ولا بترول وسيملؤها عدلا كما ملئت حوار"[34].

يظهر في هذا المقطع البطل يدخل المسجد ويتضرع إلى الله سبحانه كي ينقضه من هذا المجتمع الهالك والظالم والفاسد ويعنيه حتى يكمل نصف دينه بدل العزف في الفواحش والرذائل.

وكذلك نجد الإغتراب في هذا المقطع "سيارة وسجائر وكحول أيتها المتشامخة, ابتسامتك الطافية مساحة وجهك تغرق خجلة وسط بحار موشحة بالظلمة .. تقطع بل السيارة آخر شارع في المنفى تدخلين .. تزيلين روائح الكحول .. تتوضئين ثم تتيممين وجهك راكعة قارئة الفاتحة و "قل هو الله أحد"

- لا تفسد وضوئي

تتطهر القديسة الليلة بوشاح صفاء روحي, تعانق محي الدين بن العربي والحلاج ثم يعانقها قط الخضراء شاربا غسلها ولبنها"[35]

يظهر من خلال المقطع السردي أن النفس حتى بعد عربدتها ولهوها وعبثها فإنها تشعر بالفراغ ,مما يجعلها تتوجه إلى الذات الالاهية وطلب العفو والمغفرة على كل ما سبق من ذنوب, وأنها تتوق إلى الطهر والصفاء الروحي وهذا لا يكون إلا باتصال الذات الالاهية.

هـ-الإغتراب السياسي:

يقصد بالإغتراب السياسي شعور الفرد بالعجز إزاء المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية, فهو شعور المرء بعدم الرضا وعدم الارتياح للقيادة السياسية والرغبة في تغييرها...كماأنه شعور الفرد بأنه ليس جزء من العملية السياسية وأن صانعي القرارات السياسية لا يضعون له اعتبار"[36] بمعنى أن الفرد

يشعر بعدم القدرة على التأثير في المجال السياسي عاجز عن إصدار قرارات سياسية فاقد لمعايير تشكيل نظام سياسي, وفي المقابل غير مرتاح ولا يشعر بالانتماء لما هو عليه الوضع القائم. وإضافة إلى هذا هناك من يرى أن الإغتراب السياسي ليس فقط الإغتراب عن السلطة السياسية, بل أنه يمثل كل الاتجاهات السلبية نحو عموم هيئات المجتمع, وهو ما يؤكده "محمود رجب" حيث يرى أن المجتمع الحديث دعم انفصال الإنسان عن الطبيعة وعن ذاته من خلال اعتماده الملكية الخاصة التي أدت إلى عدم المساواة وهذا ما تشهده في المجموعة القصصية "آخر تحليقة لنورس مهاجر" في قول السارد "تذكر مرة وعندما كان طالبا يشترك في المظاهرات الثورية والتقدمية .. أنه فكرفي الانخراط في أحد الأحزاب السياسية دافع غريب مجنون أشعله .. هذيانات عامة وساوس بالثورة والعدل والآفاق المقترحة.. فتقدم بطلب كتب عليه.. لي الشرف أن أحظى بقبولي عضوا في حزبكم الفتي وتابع ووقع في نهاية الطلب وبعد عدة اجتماعات تبين أن مسؤوله المباشر والذي لا يزال في خطواته الأولى باتجاه الثورة.. والذي ما فتأ يصر راسما آفاقا واسعة لدولة علمانية عريضة تقوم على العدل والمساوات وأشياء أخرى لم يستوعبها بعد هو من كبار تجار المدينة.. وله أسهم مهمة في شركة "شفرولية" المحدودة المغفلة لبيع السيارات واستيرادها وله أسهم أخرى في أحدث مشروع سياحي لإنشاء مدينة يؤمها الأوروبيون .. لينعموا بالشمس والدفيء والبحر والخمور الوطنية والأجساد المحلية والضيافة العربية التقليدية وله أرصدة في البنوك وتبين له أن ثلاث رخص لشراء الغاز وبيعه باسم زوجته"[37] يظهر هنا مدى فساد السلطة والسياسة معا, ومدى معارضة المبادئ التي ينادوا بها, وأنهم حرفوا كل ما يشير إلى الثورة ومبادئها الحقيقية وهي المساواة وتساوي الفرص, بينما هم في حقيقتهم لا يقومون إلا بما يخدم مصالحهم الشخصية فقط.

وفي مقطع آخر يتجلى الإغتراب السياسي وظلمة السلطة وأصحاب القرارات ضد الأفراد المهمشة في المجتمع حيث يقول السارد "أما الناس فقد تعلموا الانحناء أمام موظفي الدوائر الرسمية .. وأمام أصحاب الأفران وصناديق البنوك التجارية وهم يسحبون قروض التسليف الشعبي .. وكان المجرمون أمثالي ينحنون أمام المحامين, والمحامون أمام القضاة .. والقضاة أمام العدالة والقرآن الكريم والله.

– أنت متهم بجريمة ترك العمل الوظيفي.

– نعم سيدي القاضي.

لا أدري كيف قدمت إلى المحكمة .. ولماذا لم توافق وزارة التربية على إحالتي إلى الاستيداع لمدة عام. قال موظف البلدية: أنت الوحيد الذي لم يوافق السيد الوزير على إحالتك إلى الاستيداع.
حاولت أن أشرح موقفي .. لقد خدمت خمس سنوات وأنا بحاجة للعلاج .. مصاب بداء السكري, لكن الموظف قال: لا علاقة لنا .. لماذا لم تدعم طلبك بمعرفة أو وساطة؟"[38]
يبدو جليا الإغتراب السياسي الذي يعيشه البطل في وطنه وعدم قدرته في الدفاع عن نفسه ورفع الظلم عنها فجور القضاة وأصحاب المراكز متفشي في كامل أوساط المجتمع, فكل مسؤول يسجد له من هم أقل منه مرتبة وكذلك انتشار الواسطة لهضم حقوق المهمشين داخل المجتمع.

ولقد كان الإغتراب السياسي واضحا في قصة "محاكمة عبد الله بن سعدون" فهذا المعلم البريء يتهم زورا ويسجن بدون ذنب سوى أنه سافر للعلاج فيقول "دق القاضي قوس العدالة وأعلن الحكم التالي: بعد الاطلاع على وقائع الدعوى المقدمة ضد المتهم عبد الله بن سعدون ونتيجة لإخلاله بتعليمات قانون الموظفين الأساسي وإلحاقه الضرر والأذى بالجهة المدعية وبناء على أحكام المادة 1313 من قانون العقوبات الاقتصادي الفقرة 98 على التعليمات الوزارية الصادرة في عام 1904 وذات الرقم 218 فإننا باسم العدالة والشعب قررنا سجن المتهم المذكور أعلاه لمدة ثلاث سنوات وتغريمه بمبلغ خمسة عشرة ألف ليرة تدفع للخزينة العامة"[39]. ويقول أيضا "ألوذ بالمدينة هاربا من نفسي.. تلفظ بي مزروعا بالسجن.. أجراس الكنائس تخلع عباءاتها القديمة.. وأصوات المآذن تهتز مشحونة بنجمة وقمر حزينين ألفا الغربة والحنين أنهضت المدينة.. لم تنهض.. ألفيت بنفسي إلى القاع وكانت أصوات القاضي لا تزال ترن قوية صاخبة في أعماقي محكمة.. محكمة... باسم الشعب.. قررنا.. قررنا.."[40].إن الظلم السياسي أدى إلى الظلم الاقتصادي مما جعل الفئات الفقيرة تعيش أكبر أنواع القهر, وهذا جعلها تدخل حالة من الاغتراب السياسي وتحاول مرارا الهروب من فساد وبطش هذه المدينة التي تريد البقاء في الوحل والقاع والرذائل دون أن تحاول النهوض وبناء مجتمع على أساس العدل والمساواة.

خاتمة:

وختاما لهذه الدراسة يمكن أن نجمل أبرز النتائج التي توصل إليها البحث فيما يلي:

- الإغتراب ظاهرة إنسانية شملت مختلف الأنماط الاجتماعية والنفسية كما مست مختلف الثقافات التي بناها الإنسان.
- للإغتراب عدة معاني تدور في مجملها حول معنى الشعور بعدم الانتماء والتنافر مع الذات وقهرها

للإغتراب أشكال عديدة أبرزها الإغتراب الاجتماعي والنفسي والديني والثقافي والسياسي.

- لقد كانت المجموعات القصصية لعبد الرحمان يونس نماذج ممتازة لدراسة الإغتراب ويعود هذا إلى حياة القاص التي عاشها مغتربا في أوساط الدول العربية, وما كان يراه من ظلم وفساد أنظمتها فعبر عنها بطريقة سردية رائعة وفق فيها إلى حد كبير في نقل الواقع العربي.
- على الرغم من تعدد أشكال الإغتراب من نفسي واجتماعي وثقافي وديني وسياسي إلا أن المجموعات القصصية جاءت مترابطة متداخلة, ولقد نتج عن الشعور بالإغتراب مواقف متباينة وهي الاستسلام والقنوط والانطواء على النفس والاكتفاء بانتظام وإما الانقياد إلى التيه والضياع أو الهروب الدائم.

مكتبة البحث:

[1] عوض سعود عوض, آخر تحليفة لنورس مهاجر للكاتب محمد عبد الرحمان يونس والبحث عن التألف , مجلة النافذة, شهرية ثقافية عربية الوكالة العربية للأنباء, اليونان, أثينا, العددان 18/17, 1934, ص71-74.

[2] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 11، د ط، د ت، ص 23- 24.

[3] ابن فارس زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج4، ص 421.

[4] صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010، ص 9.

[5] رمضان حينوني: الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص 22.

[6] د.فريد أمعشو: الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، دار صادر للنشر, لبنان, بيروت, دط، دت، 2015، ص 13.

[7] حسين جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، العدد 1+1994،2 ,ص 24.

[8] السيد علي شتا: الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، مكتبة الإشعاع للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1997، ص 59.

[9] وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، لبنان, د ط، 2013، ص 59.

[10] إقبال محمد رشيد صالح الحمداني: الاغتراب التمرد قلق المستقبل، دار الصفاء للنشر والتوزيع ,غزة, ط1 ,2011, ص 107.

[11] المرجع السابق: ص 107.

[12] عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعةوالنشر,الإسكندرية,مصر,ط1, 2002, ص 21.

[13] كاميليا عبد الفتاح: الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008، ص 11.

[14] عبد الله عبد الله, الاغتراب وعلاقته بالصحة النفسية لدى الجامعة رسالة مقدمة لنيل الماجستير في علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا, جامعة الجزائر, يوسف بن خدة, 2007-2008, ص44.

[15] محمد عبد الرحمان يونس, رقص سماح على أنغام زرياب, دار النا للطباعة والنشر والتوزيع, أثينا, اليونان, ط1, 1994, ص12.

[16] المرجع نفسه, ص34.

[17] المرجع نفسه, ص15.

[18] المرجع نفسه, ص15.

[19] المرجع نفسه, ص28.

[20] محمد عبد الرحمان يونس, آخر تحليقة لنورس مهاجر, دار سعاد الصباح, مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية, (د ط), (د ت), ص4.

[21] المرجع نفسه, ص14.

[22] عبد الله عبد الله, الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة,ص15.

[23] محمد عبد الرحمان يونس، آخر تحليقة لنورس مهاجر, ص15.

[24] المرجع نفسه, ص18.

[25] المرجع نفسه,ص25

[26] المرجع نفسه, ص30.

[27] المرجع نفسه, ص33.

[28] زليخة جديدي, الاغتراب, مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية, العدد الثامن جوان 2012, جامعة الوادي, الجزائر, ص346-361.

[29] محمد عبد الرحمان يونس, رقص سماح على أنغام زرياب,, ص17.

[30] المرجع نفسه، ص20.

[31] المرجع نفسه, ص16.

[32] زليخة جديدي, الإغتراب, ص351.

[33] المرجع نفسه, ص352.

[34] محمد عبد الرحمان يونس، آخر تحليقة لنورس مهاجر, ص16.

[35] المرجع نفسه, ص40.

[36] زليخة جديدي, الاغتراب, ص350.

[37] محمد عبد الرحمان يونس، آخر تحليقة لنورس مهاجر, ص88.

[38] المرجع نفسه, ص94.

[39] المرجع نفسه, ص99.

[40] المرجع نفسه, ص100.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر:

1– محمد عبد الرحمان يونس, رقص سماح على أنغام زرياب, دار النا للطباعة والنشر والتوزيع, أثينا, اليونان, ط1, 1994.

2– محمد عبد الرحمان يونس, آخر تحليقة لنورس مهاجر, دار سعاد الصباح, مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية, (د ط), (د ت).

المؤلفات:

3– ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 11، د ط، د ت.

4– ابن فارس زكريا: معجم مقاييس اللغة، تح: محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ج4.

5– صلاح الدين أحمد الجماعي: الاغتراب النفسي الاجتماعي، دار زهران للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2010.

6– رمضان حينوني: الاغتراب في شعر محمد الماغوط، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2015.

7– فريد أمعشو: الاغتراب في الشعر الإسلامي المعاصر، دار صادر للنشر, لبنان, بيروت, د ط، د ت، 2015.

8– السيد علي شتا: الاغتراب في التنظيمات الاجتماعية، مكتبة الإشعاع للنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ط1، 1997.

9– وابل نعيمة: الاغتراب عند كارل ماركس، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، لبنان, د ط، 2013.

10– إقبال محمد رشيد صالح الحمداني: الاغتراب التمرد قلق المستقبل، دار الصفاء للنشر والتوزيع ,غزة, ط1 ,2011.

11– عبد القادر عبد الحميد زيدان: التمرد والغربة في الشعر الجاهلي، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر, الإسكندرية, مصر, ط 1, 2002 .

12– كاميليا عبد الفتاح: الشعر العربي القديم، دراسة نقدية تحليلية لظاهرة الاغتراب، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008.

13– عبد الله عبد الله, الاغتراب النفسي وعلاقته بالصحة النفسية لدى طلاب الجامعة, د ط، د ت.

الأطروحات:

14- عبد الله عبد الله, الاغتراب وعلاقته بالصحة النفسية لدى الجامعة رسالة مقدمة لنيل الماجستير في علم النفس وعلوم التربية والأرطوفونيا, جامعة الجزائر, يوسف بن خدة, 2007-2008.

المقالات:

15- عوض سعود عوض, آخر تحليفة لنورس مهاجر للكاتب محمد عبد الرحمان يونس والبحث عن التألف , مجلة النافذة, شهرية ثقافية عربية الوكالة العربية للأنباء, اليونان, أثينا, العددان 18/17, 1934.

16- حسين جمعة: الاغتراب في حياة المعري وأدبه، مجلة جامعة دمشق، العدد 1+2، 1994.

17- زليخة جديدي, الاغتراب, مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية, العدد الثامن جوان 2012, جامعة الوادي, الجزائر.